وكان للعرب في هذا المضمار دراسات وآراء طرحوا فيها قضية صحة الشعر الجاهلي، وأولى تلك الدراسات ما قدّمه مصطفى صادق الرافعي في كتابه الموسوم "تاريخ آداب العرب " حشّد فيه آراء النقاد العرب القدامى في الرواية والرواة وعملهم في النحل على الشعراء ووضع الشعر المنحول، ولكن من غير أن يبين له رأياً في ما يطرحه، ومع ذلك فله "فضل السبق وفضل الاستقصاء في الجمع"[١].

وقد بين الرافعي البواعث على وضع الشعر في الإسلام ورآها في:

١- تكثرُّ القبائل لتعتاض عما فقدته بعد أن راجعت الرواية ، وخاصة القبائل التي قلّت وقائعها وأشعارها، وكانت أُولاها قبيلة قريش وقد وضعت أشعاراً كثيرة على حسّان بن ثابت[٢].

٢- حاجة علماء اللغة إلى الشواهد من أجل تفسير الغريب ومسائل النحو ،وكان الكوفيون أكثر الناس وضعاً للأشعار للاستشهاد بها بسبب ضعف مذهبهم وتعلّقهم على الشواذ واعتبارها أصولا يقاس عليها ، ولو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه، وبخلاف البصريين ، لذلك كان يضطر الكوفيون إلى الوضع فيما لا يجدون له شاهداً شعرياً إذا كانت العرب على خلافهم[٣].

٣- حاجة المعتزلة إلى الشواهد في تفسير القرآن الكريم ،إذ كانوا يولّدون الشواهد للاستشهاد بها على مذهبهم[٤].

---

[١] مصادر دراسة الشعر الجاهلي: ٣٧٧.

[٢] تاريخ آداب العرب: ٣٦٥.

[٣] تاريخ آداب العرب: ٣٦٩-٣٧٠.

[٤] تاريخ آداب العرب:

٤- كثرة القصّاصين وأهل الأخبار وحاجتهم إلى الشواهد على الأخبار، مما دفعهم الى وضع الشعر لما يلفّقونه من الأساطير ، فوضعوا شعراً على عهد آد م ومن دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم، وأول من أفرط في ذلك محمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية[١].

وهكذا كان للرافعي أن يدور مع القدماء من العرب في ما يروون من أخبار وسردها، وما انبثّ في كتبهم من أحاديث ، وحصر موضوع الرواية والرواة في دائرة القدماء نفسها "ولم يحمّل نصاً أكثر ممّا يحتمل، ولم يعترف الطريق اعترافاً إلى الاستنتاج والاستنباط، لا إلى الظن أو الافتراض، ولم يجعل من الخبر الواحد قاعدة عامة، ولا من الحالات الفردية نظرية شاملة[٢].

طه حسين ونظرية مرجليوث، الشك في الشعر الجاهلي

إذ كانت آراؤه مطابقة لما جاء به "مرجليوث" ونظريته في الشك في الشعر الجاهلي ونفي أن يكون هناك شعر لدى العرب الغارقين في البداوة والذين لا يعرفون طريقاً إلى الكتابة وانته ى في أرائه إلى ما انتهى إليه "مرجليوث" من "أنّ الكثرة المطلقة مماّ نسمّيه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثّل حياة المسلمين وميولهم وأحوالهم أكثر ممّا تمثّل حياة الجاهليين"[٣]، و "أن هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس أو إلى الأعشى أو إلى غيرهما من الشعراء الجاهليين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء، ولا أن يكون قد قيل وأذيع قبل أن يظهر الإسلام"[٤].

---

[١] تاريخ آداب العرب: ٣٧٦-٣٧٩.
[٢] مصادر الشعر الجاهلي: ٣٧٩.
[٣] في الأدب الجاهلي: ٧١-٧٢.
[٤] في الأدب الجاهلي: ٧٣.

ورأى يقسّم الشعر الجاهلي إلى ثلاثة أضرب ،حتى ليبدو لنا أنه يكاد يعتدل في الأمر بعض الشيء، فيقول: "إنّا نرفض شعر اليمن في الجاهلية ، ونكاد نرفض شعر ربيعة أيضاً ... وأقلّ ما توجبه علينا الأمانة العلمية أن نقف من الشعر المضري الجاهلي ، لا نقول موقف الرفض أو الإنكار ، وإنما نقول موقف الشك والاحتياط"[١].

وقد كانت هناك دوافع اعتمدها طه حسين للشك في الشعر الجاهلي جعلها في خمسة أمور ، أولاها أنهّ لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين.

فقد رأى في الشعر الجاهلي من الناحية الدينية أنه لا يظهر من الديانة الوثنية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية فيرى أن الشعر الجاهلي "يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة أو كالبريئة من الشعر الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلّطة على النفس والمسيطرة على الحياة العلمية ... وأماّ القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها إلى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدال..."[٢].

ويعلّق على الناحية العقلية بالقول : "أفنظنّ قوماً يجادلون في هذا الأشياء جدلاً يصفه القرآن بالقوة، ويشهد لأصحابه بالمهارة . أفنظنّ هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيث يمثّلهم لنا هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين؟ كلا ! لم يكونوا جهّالاً ولا أغنياء ، ولا غلاظاً ولا أصحاب حياة خشنة جافية ، وإنما كانوا أصحاب علمٍ وذكاء، وأصحاب عواطف رقيقة، وعيشٍ فيه لين ونِعمة..."[٣].

---

[١] في الأدب الجاهلي: ٢٧١-٢٧٥.
[٢] في الأدب الجاهلي: ٨٠.
[٣] ينظر في الأدب الجاهلي: ٨١.

أما أن الشعر لا يمثل الحياة السياسية[١] للعرب قبل الإسلام لانهم كانوا على اتصال بمن حولهم من الامم اتصالاً قوياً ، وذكرهم القرآن في سورة الروم وفي اتصالهم الاقتصادية بغيرهم من الأمم في سورة قريش.

وأن الشعر لا يمثل الحياة الاقتصادية [٢] اذ لا توجد في الشعر أو في شعر أي شاعر أية إشارة إلى طبيعة تلك الحياة.والقرآن فيه الكثير مما يبين وجود الفقراء والأغنياء، وأنه عني بتحريم الرّبا وحثّ على الصدقة وفرض الزكاة .وأن ذلك لم يكن ليشير إليه القرآن لو لم تكن حياة العرب الاقتصادية الداخلية من الفساد والاضطراب بحيث تدعو إلى ذلك . فضلاً عن إشارات القرآن إلى نواح نفسية خالصة في ذمّ البخل، وتظهر صلة العربي بالمال وحبّه الهمّ له ، على حين نجد الشعر الجاهلي يظهر كرم العربي وأنه متلاف للمال مُسرف في ازدرائه.

أمّا عن طبيعة الحياة الاجتماعية للعرب في الجاهلية ، فيقول عنها : "فهذا الشعر لا يُعنىَ إلاّ بحياة الصحراء والبادية، وهو لا يُعنىَ بها إلاّ من نواحٍ لا تمثّلها تمثيلاً تامًّا. فإذا عرض لحياة المدر فهو يمسّها مسّاً رقيقاً ولا يتغلغل في أعماقها ، وما هكذا نعرف شعر الإسلام . ومن عجيب الأمر أناّ لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر البحر أو الإشارة إلي ه، فإذا ذكر فذكرّ يدلّ على الجهل لا أكثر ولا أقلّ.أما القرآن فيمنّ على العرب بأن الله قد سخر لهم البحر ، وبأنّ في هذا البحر منافع كثيرة..."[٣].

---

[١] ينظر في الأدب الجاهلي: ٨٢-٨٣.

[٢] ينظر في الأدب الجاهلي: ٨٣-٨٥.

[٣] في الأدب الجاهلي: ٨٧.

أمّا ثاني دوافع الشك عند طه حسين في ما يراه من اختلاف اللغة بين عرب الشمال وعرب الجنوب : وأن الشعر بعيد كلّ البعد على أنْ يمثّل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنهّ قيل فيه[١].

وثالثها ، ففي اختلاف اللهجات بين العدنانيين والقحطانيين فيما يقوله الرواة في أنهم "مجمعون على أنّ قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة قبل أن يظهر الإسلام فيقارب بين اللهجات المختلفة، ويزيل كثيراً من تباين اللهجات ، وكان من المعقول أن تختلف لغات العرب العدنانية وتتباين له جاتهم قبل ظهور الإسلام ولاسيما إذا صحّت نظرية العزلة العربية.... فإذا صحّ هذا كلّه كان من المعقول جداً أنْ تكون لكلّ قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبها في الكلام ، وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل،قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة ، ولكننا لا نرى شيئاً من ذلك في الشعر العربي الجاهلي..."[٢].

أما رابع تلك الدوافع في شكوك طه حسين ما رآه في الاستشهاد بالشعر الجاهلي على ألفاظ القرآن والحديث وكأن "الشعر الجاهلي قد قُدَّ على القرآن والحديث، كما يُقَدُّ الثوب على قدّ لابسه ، لا يزيد ولا ينقص عماّ أراد طولاً وسعةً "[٣] ويرى في ذلك أنهّ ليس من طبيعة الأشياء . ولا يجوز الاطمئنان إلى ذلك الأمر إطلاقاً في الموازاة بين القرآن والحديث والشعر الجاهلي ، بل يحمل الأمر إلى الشك والحيرة[٤].

---

[١] ينظر: في الأدب الجاهلي: ٨٨-٩٨.

[٢] في الادب الجاهلي: ١٠٣-١٠٤.

[٣] في الادب الجاهلي: ١٢٠.

[٤] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٢٠.

وآخر تلك الدوافع ففي ما رآه طه حسين في الرواية الشفوية للشعر وهو أمر يبعث الشك والريبة في النفس وأن يُوصَم بالنحل والوضع[١].

ويختم طه حسين حديثه عن دوافع شكه تلك بالقول : "إنّ من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل : أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت أنه لا يمثّل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا ديانتهم ولا حضاراتهم، بل لا يمثل لغتهم، أليس هذا الشعر قد وضع وضعاً وحُمل على أصحابه حملاً بعد الإسلام؟ أما أنا فلا أكاد أشكّ الآن في هذا، ولكنّنا محتاجون بعد أنْ ثبتت لنا هذه النظرية، أن نتبين الأسباب المختلفة التي حملت الناس على وضع الشعر والنثر ونحلهما بعد الإسلام "[٢]. وقد أوجد طه حسين للشك في أنّ الشعر الجاهلي منحول وموضوع أوجد أسباباً منها سياسية، ومنها دينية ، وثمة أسباب تعود للقصص والقصاصين ، أو يعود للشعوبية ، أو ما ردّه إلى الرواة، مبسِّطاً القول فيها، وافرغ فيها كثيراً من الجهد حتى وصل إلى أنّ "كلّ شيء يدعو إلى نحل الشعر وتلفيقه ، سواء في ذلك الحياة الصالحة ، حياة الأتقياء والبررة، والحياة السّيئة، حياة الفسق وأصحاب الهجون"[٣].

فالأسباب السياسية كان يعني بها – طه حسين– العصبية القبلية ،ولكن من دون أن يتحدّث عنها حديثاً شاملاً .وهي ما كانت بين المهاجرين والأنصار ،ويورد تأييداً لذلك ما روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنهّ نهى عن رواية الشعر الذي تهاجَى به المسلمون والمشركون أيامّ النبيَّ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم). وتثبت هذه الرواية نفسها برواية أخرى وهي أن قريشاً والانصار تذاكروا ما كان بينهم من ذلك الشعر لأنّهم وجدوا فيه اللذة والشماته [٤]. وأنّ قريشاً نظرت فاذا

---

[١] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٥٩.

[٢] في الأدب الجاهلي: ١٢٣.

[٣] في الأدب الجاهلي: ١٩٣.

[٤] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٣٢-١٣٤.

حظّها من الشعر قليل في الجاهلية- على حدّ قول ابن سلام- فاستكثرت منه في الاسلام، وليس من شك "في أنّها استكثرت بنوع خاص من هذا الشعر الذي يُهجَى به الأنصار"[١].

ولا يكتفي طه حسين بذلك بل يضيف : "ونحن لا نقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها، وإنمّا نستخلص منها قاعدة علمية، وهي أنّ مؤرِّخ الآداب مضطر حين يقرأ الشعر الذي يُسمىَّ جاهلياً أنْ يشكّ في صحته كلّما رأى شيئاً من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق . ويجب أن يشتد هذا الشكّ كلّما كانت القبيلة أو العصبية التي يؤيدّها الشعر قبيلة أو عصبية ، قد لعبت- كما يقولون- دوراً في الحياة السياسية للمسلمين"[٢].

أما ما كان لأسباب دينية[٣] فكان النحل يقصد في بعض أطواره إلى إثبات صحة النبوّة وصدق النبيَّ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم) وما كان من شعر وضع تمهيداً لهذه النبوة وما يتّصل بها من الأخبار والأساطير ، وفي سيرة ابن هشام ضروب كثيرة من هذا النوع من الشعر . بل هناك نوع من الشعر اضيف الى الجاهليين من عرب الجنّ إرضاءً لحاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كلّ شيء . أو ما وضع من شعر تعظيماً لشأن النبيَّ (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

ذلك فضلاً عما ذكره من أثر الدين في نحل الشعر ووصفه وحاجة العلماء لتفسير القرآن فيما جاء عن الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود[٤]. أو ما كان بسبب الحركة العلمية بعد اتصال العرب بالأمم المغلوبة ، فأرادوا هم والموالي أن يدرسوا

---

[١] في الأدب الجاهلي: ١٣٤.

[٢] في الأدب الجاهلي: ١٤٥-١٤٦.

[٣] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٤٧-١٥٠.

[٤] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٥٣.

القرآن درساً لغوياً ويثبتوا صحّة ألفاظه ومعانيه[١]. أو ما كان بسبب الخصومات بين علماء الدين[٢] أو ما كان من وضع على أحاديث من كان على دين الحنيفية دين إبراهيم (عليه السلام) لإثبات قِدم الإسلام في بلاد العرب ،وعليه حمل كل ما يوجد من الأخبار والأشعار والأحاديث التي تضاف إلى الجاهليين والتي يظهر بينها وبين ما جاء في القرآن والحديث من شبهٍ قوي أو ضعيف[٣].

وتحدث عن الديانتين اليهودية والنصرانية وانتشارهما في البلاد العربية ولا يكون لهما أدنى أثرٍ ظاهر في الشعر العربي قبل الإسلام . فالأمر مع اليهود والنصارى كان سيان أن يتعصّبوا لأسلافهم من الجاهليين، ويرووا شعراً كما للوثنيين، فنحلوا كما نحل غيرهم وأضافوا أشعاراً الى السموأل بن عاديا وإلى عدي بن زيد وغيرهما من شعرائهم[٤].

وليس ذلك حسب طه حسين في شكوكه في الشعر الجاهلي فيعرض لطائفة من الشعراء الذين شكّك في صحة شعرهم وما نُحل عليهم وأضيف إلى شعرهم ،أو التشكيك في شخصيتهم وشاعريتهم أو اضطراب شعرهم واختلاطه مع شعر غيرهم من الشعراء. فيقدّم لهؤلاء الشعراء وهم أمرؤ القيس وعلقمة وعبيد بن الأبرص وعمرو بن قميئة والمهلهل وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفه ابن العبد والمتلمّس والأعشى، فضلاً عن الشعر المُضَريّ[٥].

أمّا مقياسهفي الحكم على صحة الشعر الجاهلي فيرى أنّ نقد السند وحده لا يكفي "لتصحيح ما وصل إلينا من طريقه، ولابد لنا من أن نتجاوز هذا النقد الخارجي

---

[١] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٥٣.
[٢] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٥٤-١٥٥.
[٣] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٥٧.
[٤] ينظر: في الأدب الجاهلي: ١٦٢-١٦٣.
[٥] ينظر: الأدب في الجاهلي: ٢١٦-٢٧٦.

إلى نقدٍ داخلي ، إنْ صحّ التعبير– إلى نقدٍ يتناول النصّ الشعري نفسه في لفظه ومعناه ونحوه وعروضه وقافيه"[١] ثم يستدرك ليقول : "فنحن لا نستطيع أن نقول في يقينٍ أو ترجيح علمي، إنّ هذا النصّ ملائم من الوجهة اللغوية للعصر الجاهلي أو غير ملائم ، لأنّ لغة هذا العصر الجاهلي لم تُضبط ضبطاً تاريخياً ولا علمياً صحيحاً، وكلّ ما صحّ لنا منها صحة قاطعة،ولكنها في حاجة إلى التدوين ،إنما هي لغة القرآن ، ولكن من ذا الذي يستطيع أنْ يزعم أنّ القرآن قد استعمل كلّ الألفاظ التي كانت شائعة مألوفة بين المضربين أيام النبي ..."[٢]. وقد يتخذ البعض غرابة اللفظ مقياساً لتحقيق الشعر الجاهلي و يصفه "بأنهّ مذهب خدّاع "[٣]، "ولا ينبغي أنْ نتخذ بسهولة اللفظ دليلاً على النحل"[٤]. وينبه إلى المقياس المركّب في عدم اعتماد اللفظ وحده أو اللفظ والمعنى، وإنمّا على اللفظ والمعنى وعلى أشياء فنية وتاريخية[٥]. وتاريخية[٥].

يعلن طه حسين عن منهج في صحة الشعر الجاهلي والتشكيك فيه ، أنه يمضي على منهج "ديكارت" في انه على المرء ألا يقبل أمراً على أنهّ حقيقة ، إلا إذا قامت الدلائل البينة على صحته وأنه لم يكن منهجَ شكٍّ للشّكّ ذاته، وإنمّا يتخذ الشكّ وسيلةً لليقين[٦].

وقد تعرض كتاب طه حسين بالنقد والنقض من لدن أكثر من ناقد ودارس في الأدب العربي وردّوا عليه منهج ه الذي لم يلتزمه في كثير من الأحيان "فهو على

---

[١] في الأدب الجاهلي: ٢٨٦.
[٢] في الادب الجاهلي: ٢٨٦.
[٣] في الادب الجاهلي: ٢٨٧.
[٤] في الأدب الجاهلي: ٢٩١.
[٥] ينظر: الأدب في الجاهلي: ٢٩٦-٢٩٧.
[٦] ينظر: في الادب الجاهلي: ٧٤.

الرغم من قبضه على منهج ديكارت ، ونعيه الاطمئنان إلى ما يقوله القدماء ،قد اطمأنّ في كثير من هذا النحو الجديد من البحث إلى ما يرويه صاحب الأغاني وغيره...."[١]، "ولكنه بغلّوهِ في تحرّي أسباب الاختلا ق على الجاهليين، التقط من كتب المحا ضرات جميع ما فيها مما يتعلّق بالاختلاق ، وبالعوامل التي حملت عليه... ولم يسِر في ذلك على ما يقضي به مذهب ديكارت ... بل وثق به ثقةً مطلقة "[٢]. بل نُقد منهجه في أنه يورد أخباراً وروايات كانت جديرةً بعنايته في الوقوف عندها ونقدها وتبيين زائفها ومن ثَمَّ ردّها[٣]، لكنه لم يصنع معها شيئاً.

ويرى ناقد كتاب طه حسين ،أنهّ ينصّ على النتائج من غيرِ ذكرٍ للمقدمات ، إذ يعقد فصلاً كاملاً عن "الشعوبية ونحل الشعر" ولكنهّ "لم يأت برواية تدلّ على أنّ بعض الشعوبية انتحل "نحل" شعراً جاهلياً... وزعم انه وصل بهذا إلى ما كان يريده من تأثير الشعوبية ... ولكنّهلم يستطيع أن يضرب لك مثلاً يُريك كيف انتحلت الشعوبية شعراً جاهلياً، فضاق بنهج ديكارت ذرعاً..."[٤].

وكذلك الفصل الذي عقده عن "السّياسة ونحل الشّعر " وقد تحدث فيه عن الأنصار وقريش والخصومات بينهم، عقّب عليه ناقده بقوله: "كلّ ذلك مفهوم مفروغ منه، وليس فيه من جد يد، أما الجديد الذي فاجأ به الق رّاء فهو قوله بعد ذكر هذه العصبية: "يستطع الكاتب في تاريخ الأدب أن يضع سفراً مستقّلاً فيما كان لهذه العصبية بين قريش والأنصار من التأثير في شعر الفريقين الذي قالوه في الإسلام ، وفي الشعر الذي انتحله الفريقان على شعرائهما في الجاهلية"، مع أنّ مقدمته الطويلة لم يوجد بها كلمة واحدة تتصل بأنّ فريقاً من الفريقين اختلق شعراً ونسبه إلى شعرائه

---

[١] نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ١١.

[٢] نقد كتاب الشعر الجاهلي: ٢.

[٣] ينظر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ١٩٩-٢٠١-٢٧١-٢٧٦.

[٤] نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٢٤٧-٢٤٩.

في الجاهلية، وإنما الأحاديث كلّها فـي الشعراء الذين كانوا في أول العهد الإسلامي يتقارضون الشعر، وفي العهد الذي يلي ذلك"[١].

ومما أخذ على طه حسين الشعر الذي يضاف إلى امرئ القيس ليس من أمرئ القيس في شيء، وإنما هو محمول عليه ومختلق عليه اختلافاً، لقول الناقد في ذلك: "ذهب المؤلف في بعض الصحف من كتابه، إلى أنّ هذا الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس، لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون له . ومقتضى تمسكه بأنّ امرأ القيس يمنيّ مولداً ونشأةً، وانّ لغة قحطان نازلة من لغة عدنان منزلة اللغات غير العربية، أن يكون جميع هذا الشعر الذي يضاف إلى امر ئ القيس منحولاً، فإنّا لم نجد شيئاً منه على غير اللغة التي ينظم فيها شعراء نجد والحجاز ، ولكن المؤلف يقول في هذه الصفحة إن البحث ينتهي به إلى أنّ أكثر هذا الشعر ليس من أمرى القيس في شيء. ومعنى هذا أنّ في الشعر المضاف إلى امرئ القيس شعراً هو منه في شيء، وأظن أنّ المؤلف سيجد كثيراً من المشقّة والعناء ليحلّ هذه المشكلة"[٢].

---

[١] مصادر الشعر الجاهلي: ٤٠٦-٤٠٧.

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٣٠٦.

وأمّا بشأن نظريةِ العزلة العربية، فإذا صحّت وثبت أنّ العرب كانوا متقاطعين متنازعين، وأنه لم يكن بينهم من أسباب اتصال مادية ومعنوية ما يمكن من توحيد اللهجة. فردّت هذه النظرية فيما أنكره طه حسين حينما رآها تتعارض مع ما أراده من أنّ للجاهلين اتصالاً بالعالم الخارجي [١]. وكذلك ردّ عليه نظريته في اخ تلاف لغة الجنوب عن لغة الشمال لأ نّهأمر هو الآخر يتعارض مع نظرية العزلة ، فيما قاله عن تباين لغات القبائل ال عدنانية ولهجاتها ومذهبها في الكلام ، قبل أن يوحدّها القرآن[٢].

ومن مجافاة طه حسين للطريقة العلمية؛ أنه يورد النصوص على وجه يختلف عمّا كانت عليه في حقيقتها ، والاستدلال بها على ما لا تدلّ عليه في أصلها لو أُوردَت كاملةً. من ذلك أنه يقول: "فأمّا خلف، فكلام الناس في كذبه كثير، وابن سلامُ ينبئنا بأنّه كان أفرس الناس ببيت شعر... محاولاً أنْ يتخذ من كلام ابن سّلام حجةً على كذبِ خلف ، ويريد أن يوجّه قول ابن سّلام – أفرس الناس بيت شعر – توجيهاً يوحي بأنهّ لتمكنه وقدرته ومهارته، كان قديراً على نحل الشعر ووضعه. ولكن ابن سلام لم يُرد ذلك بل نقيضه"[٣].

وممّا يوجّه إلى طه حسين من النقود أنهّ كان يُغير على كتب عربية وغير عربية فيلتقط منها آراء وأقوالاً. ويسعى الناقد الخضر حسين الى الكشف عما أخذه من نظرية الشك التي جاء بها "مرجليوث" وانهّ تأثر بها كلّ التأثُّ[٤].

---

[١] ينظر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٩٩-١٠٠.

[٢] ينظر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٣٢٣.

[٣] نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٢٧٢.

[٤] ينظر : نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ١٧-٢٠، ٢٢، ٤٧، ٧٠، ١٠٠، ١١٥، ١٧٤-١٧٧، ٢١٢-٢١٣، ٢٦٩- ٢٧١، ٢٧٥، ٣٦١.

وقد وجهت نقود ك ثيرة إلى تلك الأسباب التي رآها طه حسين أنّها مدعاة للشكّ في الشعر الجاهلي وسلّم بها حقائق لنفي وجود شعر جاهلي ، تلك التي ردّها إلى أسباب سياسية وأُخَر دينية، أو ما ردّه إلى القصص وما وضعه القصّاص ، أو ما وُضِع لغايات شعوبية، أو ما كان من عمل الرواة وما وضعوه ونحلوه على الشعر الجاهلي.

وقد أجمع النقا د على أنّ طه حسين لم يورد شيئاً من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة إلى نحله- وقد عقد فصلاً من كتابه فيها- على الرغم من أنه أطال حديثه عن المقدمات الظنيّة والفروض المُ تخيلة، لكنّه لم ينته بها إلى النهاية التي عقد من أجلها عنوان فصله [١]، وكذلك ما كانت أسبابه دينية فردّ ه السيد محمد الخضر حسين إذ "ينكر المؤلف كلّ ما يُروى من الشعر والأخبار الممهّد ة للبعثة النبوية... إذ ليس من المحتمل عنده أنْ يقال فيها شعر أو يرد عنها خبر أنْ يدّعيها صاحبها . أما الذين يعتقدون بأنّ نبوّة أفضل الخلق حقّ ، فمن الجائز عندهم أن يسبقها شعر أو خبر يتّصل بها، وشأنهم أن يفحصوا ما يرد في هذا الصدد ويضعوه بمنزلته من الوضع أو الضعف أو الصحّة، وكذلك فعل علماء الإسلام فحكموا على جانب ممّ ا كان من هذا القبيل بالوضع ، كالأخبار والأشعار المعزوة إلى ق س بن ساعدة"[٢].

أما بالنسبة لما ورد من شعر أو نثرٍ عن الجنّ ووجودها وأحبارها فيذكر طه حسين أنها إنماّ وضعت بعد الإسلام وضعاً لتبرير سورة الجنّ في القرآن الكريم المنزّل على أفصح العرب ، وما نسب إلى العرب اصطنع اصطناعاً مجاراةً للعقيدة التي اقتضتها هذه السورة. والحقيقة أنّ عرب الجاهلية كانوا يعتقدون بالجنّ، ونظموا

---

[١] ينظر: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢١.وينظر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ١٨٥.

[٢] نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ١٨٨.

شعراً عن علاقة الجنّ بالشعر والشعراء ، ولم تكن أم ة من الأمم- سامية أو آرية- تخلو من الاعتقاد بالجنّ أو الأرواح الخيّرة والشريرة[١].

أما فيما يخصّ أمر الشعر الممهد للبعثية النبوية ، فيرى الشيخ الخضري أنّ انتظار بعض علماء العرب وكهّانهم وأحبار اليهود ورهبان النصارى لبعثة نبيٍّ عربيّ من المسائل التي ذكرها القرآن، وأن طه حسين نفسه يرى أن العصر الجاهلي القريب من الإسلام لم يضع ، ويمكن تصوّره تصوراً واضحاً وصحيحاً، ولكن بشرط عدم الاعتماد على الشعر بل على القرآن من ناحية ، وعلى التاريخ والأساطير من ناحية أخرى، وجاء في ا لسيرة النبوية لابن هشام وغيره ضروب كثيرة من هذا النوع . فردّ ذلك الشيخ الخضري بعدم صحة القول فيه ، وذلك لان سيرة ابن هشام لم يرد فيها بيت واحد من الشعر الذي يوحي بالتمهيد للبعثة النبوية ، والشعر الذي ورد كان في غير ذلك في أمر الأربعة المتفرقين عن عبادة الأوثان في طلب الأديان[٢].

ثم يعقّب الأستاذ الخضري على أمر تفسير القرآن وما ذكره طه حسين أنّ ه من منحول الشعر ما أورده المفسّرون زاعماً أنهّم أوردوه لإثبات عربية القرآن ، وزاد في غلوه بأنهم حرصوا على أن يستشهدوا على كلّ كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب لإثبات عربية الكلمة. ويرى الخضري أن الأمر ليس كذلك إذ ما موجود من كتب تفسير مهمة جداً مثل الطبري والزمخشري، ففيهما استشهادات كثيرة من شعر العرب وقد عني مؤلفاهما كلّ العناية بذلك الأمر ، ولكن أن يكون هناك استشهاد بشعر على كلّ كلم ة من القرآن فذلك ادّعاء لا يؤيدّه الواقع ، وأن عدد الشواهد في الكشاف كان سبعمائة وسبعاً وعشرين شاهداً وهذا لا يمثّل عدد كلمات القرآن بطبيعة الحال. والخطأ في ظن طه حسين أن تلك الشواهد كلّها كانت جاهلية

---

[١] ينظر: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٤.

[٢] ينظر: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٤-٤٢٥.

جيء بها لإثبات عربية القرآن، والأمر الواضح والصحيح أن أكثر تلك الشواهد كانت لشعراء إسلاميين، وقليل منها لشعراء جاهليين أو مجهولين، ولم تكن استشهاداً على عربية القرآن، وإنمّا لبيان مفهوم الكلمات التي يراها الناس غريبةً أحياناً[١].

[١] ينظر مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٥.